نجيب نصار في جريدته الكرمل (١٩٠٩ــ١٩١٤) أحد رواد مناهضة الصهيونية

الدكتورة خيرية قاسمية

شهدت الفترة التي تبعت زوال نظام السلطان عبدالحميد واستلام جمعية الاتحاد والترقي السلطة في الدولة العثمانية تطورا كبيرا في الحركة الصهيونيـــة التي كانت تسعى الى تحويل هذا الجزء من الوطن العربي (المعروف باسم فلسطين) الى وطن قومي يهودي حسب المخطط الذي رسمه تيودور هرتزل في المؤتمر الصهيوني الاول في بال ١٨٩٧ . ومع ان بداية العمل الصهيوني في فلسطين كانت أسبق من ١٩٠٨ ، الا أن تغير النظام السياسي قد قدم للحركة الصهيونية آمالا جديدة بعد صعوبات بالغة نتيجة لفرض قيود على الهجرة والاستيطان اليهوديين في فلسطين، اذ بوصول الاتحاديين للسلطة ومساهمة فئات من اليهود والدونمة (اليهود المتسترين) العثمانيين في احداث الانقلاب السياسي ، ثم حاجة الدولة للاموال اليهودية قد دفع العمل الصهيوني في فلسطين خطوات الى الامام .

ومع كل ما أبدته الحكومة العثمانية من عطف على النشاط الصهيوني فقد ظل موقفها مترددا لاعتبارات كثيرة . أهمها العداء العربي للتغلغل الصهيوني، فالبلاد التي تحاول الصهيونية ان تخلق بها استيطانا ، يسكنها شعب آخر ظل ينظر له طويلا على أنه كمية مهملة . ومنذ الايام الاولى للاستيطان اليهودي كان هناك تخوف كامـــن من ان يحل القادمون الجدد محل أهل البلاد . وتزايد هذا الشعور بالتخوف وكان لا يمكن لعملية التغلغل الاستيطاني أن تسير دون ان تثير ردود فعل للظواهـــر الجديدة التي حملها المهاجرون الجدد : شراء الاراضي ، طرد الاهالي ، انشاء المستعمرات ، اقامة المدارس ، احياء اللغة العبرية ، المحاكم ، الطوابع . واتخذت المعارضة مع السنين شكل معارضة واعية للمشروع الصهيوني الذي يهدف فصل جزء مهم من الامبراطورية وتحويله الى دولة ، وتوقع نجيب عزوري منذ ١٩٠٥ وقوع صراع محتمل بين الحركتين في الشرق يكتب لاحدهما الغلبة(١) .

ومع ثورة ١٩٠٨ دخلت عوامل جديدة لتزيد حدة الاصوات المنذرة بالخطر . فالى جانب ازدياد النشاطات الصهيونية ، والعطف الذي أبداه الحكام الجدد ، كانت اليقظة العربية الحديثة دعامتها النخبة العربية من المثقفين ، تسعى جاهدة ، بعـــد فترة احياء فكري للحصول على حقوق العرب القومية داخـــل اطار الامبراطوريـــة العثمانية ، وبدت الصهيونية عدوا سوف يغتصب منهم في المستقبل أرضا عربية ويشكـــل تهديدا خطيرا للفكرة العربية الناشئة .

ومع ان وجهة النظر العربية كانت متفقة على ان ادخال الصهيونية الى فلسطين خطر كبير ، الا أنها اختلفت في تقديرها لمدى هذا الخطر تبعا للفئات الاجتماعية والمناطق . فالفلاحون في القرى ، رغم أنهم لم يصلوا الى درجة الوعي الكافية لادراك أبعاد الخطر ،